أثر الشخصية فى الأسلوب

للأستاذ عبد الوهاب محمود
المدرس بكلية الآداب

ليس من السهل تحديد الشخصية وتعريفها تعريفا علميا جامعا مانعا ؛ فهى كالكهربا والمغناطيسة لاتعرف إلا بآثارها ، ولكن كل هذا لم يمنع علماء النفس من محاولة البحث عن سرها وتعريفها ولو تعريفا مقاربا ، فقالوا :

(١) الشخصية هى مجموع الصفات والمزايا الذاتية التى يمتاز بها الشخص عن غيره سواء أكانت تلك الصفات حسنه أم قبيحة .

أو هى :

(٢) مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والخلقية التى يتصف بها الإنسان .

أو هى :

(٣) مجموعة الفروق التى تميز الشخص عن غيره .

والشخصية قد توهب بالفطرة ، وقد تكتسب بالتربية الحقة ، ولكن الطبيعية أقوى من المكتسبة.

فكما أن الناس يختلفون فى الذكاء والميول الفطرية يختلفون كذلك فى الشخصية ، فبينما تجد هذا قوى الشخصية تجد ذاك خاملا ضعيف الشخصية .

والشخصية تختلف باختلاف الأفراد فى أمزجتهم .

والمزاج : هو ذلك العنصر من عناصر الحياة العقلية الذى يختلف باختلاف الأفراد من الناحية الوجدانية ، وكذلك من الناحية النزوعية .

وهو نتيجة امتزاج العناصر المكونة للطبيعة البشرية بنسبة خاصة ؛ ويكاد يكون من المتفق عليه عند علماء النفس أن للأمزجة آثارا بينة فى الشخصية ،

وأنها تختلف باختلاف الأفراد ، وأنها تحدد وجهة نظر الفرد نحو بيئته،وتؤثر فى سلوكه إلى حد بعيد جدا .

وهم قسموا المزاج الى الأقسام الآتية :

١ – المزاج الدموى : وصاحبه يكون سريع التأثر ، متقلبا ، مولعا بالمسرات ، مائلا الى الرعونة ، متحمسا ، غير مثابر ، قوى الخاطر .

٢ – المزاج الصفراوى : يكون صاحبه نشيطا ، قوى الوجدان ، مثابرا ، قوى الآمال ، عنيدا ، ثابت المبدأ ، شديد الغيرة حتى تصل به إلى الحقد .

٣ – المزاج السوداوى . يكون صاحبه كثير الظن ، مضطرب الخيال ولكنه قادر على أن يكون عبقريا نابغة .

٤ – المزاج البلغمى . يكون صاحبه ضعيف الانتباه ، كسلان ، بطيئا متثاقلا ، غير متحمس ، ملتوى السلوك ، مولعا بالراحة الشخصية .

٥ – المزاج العصبى . صاحبه سريع التهيج ، قوى الخيال ، خفيف الروح متقلب عرضة للاضطراب العصبى ، فيه نبوغ وعبقرية .

فالأمزجة تجعل من الانسان المتفائل والمتشائم ، وسريع التأثير والبليد ، وكثير التردد وكثير الإقدام .

هل من الممكن تغيير المزاج ؟

قد اختلف العلماء فى الإجابة عن هذا السؤال فقال الفيلسوف الألمانى هرمان لوتز (Herman Loize):إن مزاج كل منا يتغير بانتقاله من مرحلةمن مراحل الحياة إلى التى تليها . فكل مرحلة لها مزاج خاص يناسبها :

١ – فالطفل يبدأ حياته بالمزاج الدموى ، ولاشك أن مميزاتهذا المزاج تتمثل فى الطفل لأنه متقلب سريع التأثر بالمثيرات الخارجية .

ب – والمزاج الملازم لمرحلة الشباب هو السوداوى ، إذا فهمنا من هذا المزاج مايشمل قوة العاطفة ، والميل إلى تمثيل الحوادث والأعمال .

حـ — ويمتاز عصر الرجولة بأنه عصر المزاج الصفراوى ، إذ الرجل العادى الذى حنكته التجارب يميل إلى التردى والتفكير فى العواقب .

ى — أما عصر الشيخوخة فهو عصر المزاج البلغمى ؛ لأن الكهل يكون فى العادة متعبا مثقلا متشائما يتوقع الموت ويحزن على حرمانه من مسرات الحياة وملذاتها .

على أن هناك عوامل أخرى لتغيير الأمزجة غير عامل السن .

منها المناخ فإن للمناخ تأثيرا كبيرا فى الأمزجة ، فأمزجة من يسكنون الأقاليم الباردة ليست مثل أمزجة من يسكنون الأقاليم الحارة . والأغذية ، فقد وجد أن لبعض الميول الإجرامية أو العادات المضرة بالمجتمع الناشئة عن بعض الأمزجة علاقة بنوع الطعام الذى تناوله المجرم . وقد لاحظ بعض الأطباء أن إطعام القتلة المجرمين نوعا خاصا من الطعام يخفف من أمزجتهم ويلطف من طباعهم . . وقد وجد أيضا أن تناول بعض العقاقير والأدوية باستمرار يؤدى إلى تغيير محسوس فى الأمزجة وتقدم فى الأخلاق وبعد عن الإجرام .

وقد لاحظ ابن خلدون ذلك فأنشأ فصلا (فى أثر الهواء فى أخلاق البشر) ذكر فيه :

« أن من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق فى كل قطر .

والسبب الصحيح فى ذلك أن طبيعة الفرح والسرور هى انتشار الروح الحيوانى وتفشيه ، وطبيعة الحزن بالعكس هو انقباضه وتكاثفه ؛ وقد تقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار ، مخلخلة له زائدة فى كميته . ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور مالا يعبر عنه ، وذلك بما يداخل بخار الروح فى القلب من الحرارة الغريزية التى تبعثها سورة الخمر فى الروح من مزاجه .

ولما كان السودان ساكنين فى الإقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم

وفى أصل تكوينهم كان فى أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وأقليمهم فتكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الأقاليم الباردة أشد حرا ، فتكون أكثر تفشياً فتكون أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطا؛ ويجىء الطيش على أثر هذه . وكذلك يلحق بهم قليلا أهل البلاد البحرية ؛ فلما كان هواؤها متضاعف الحرارة كانت حصتهم من توابع الحرارة فى الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة ».

وكما أن الشخصية تختلف باختلاف الأفراد، تختلف أيضا باختلاف الشعوب

فنى الشخصية الألمانية تتمثل الروح العسكرية والطاعة العمياء. وفى الشخصية الانجليزية تبدو الثقة بالنفس واحترام الذات وتقدير الحرية الشخصية ، وفى الشخصية الفرنسية تغلب العاطفة على التفكير والنظريات على الأعمال، وتكثر الآمال والميل إلى الخيال وحُبّ الظهور . وفى الشعب المصرى مايشبه الشعب الفرنسى من وجوه كثيرة.

وكذلك لمظهر الإنسان وقوامه أثر فى شخصيته .

فالرجل الصحيح الجسم الحسن القامة قد لايحتاج فى إظهار شخصيته والتأثير على غيره إلى مايحتاجه الشخص النحيف الجسم المشوه الخلقة ؛ فبينما نجد الأول طبيعيا فى معاملته ؛ لأنه لايشعر بنقص خارجى يريد أن يكمله ، تجد الثانى محبا للظهور متكلفا فى أقواله وأفعاله متخذا كل وسيلة يستطيع أن يظهر بها نفوذه ، فيتظاهر بالعلم تارة ويفخر بحسبه ونسبه تارة أخرى، ويلجأ إلى الخداع والمكر حينما يحس بنقص من الناحية العقلية أو الخلقية ، فالإنسان حينما يحس بنقص من الناحية الجسمية مثلا ، تراه يعمل على أن يسد هذا الفراغ ، ويكمل هذا النقص من الناحية العقلية أو الخلقية حتى يظهر شخصيته للملأ :

فسقراط مثلا شيخ الفلاسفة من اليونان كان أفطس الأنف غليظ الشفتين جاحظ العينين قبيح المنظر، ولكنه قد وصل بمواهبه العقلية والخلقية

إلى ذروة المجد ، ويكفيه فخراً أنه أستاذه أفلاطون .

والجاحظ أديب العلماء وعالم الأدباء ، كان دميم الخلقة جاحظ العينين ، ولكنه كان يجانب ذلك خفيف الروح ذكى الفؤاد واسع الاطلاع ، فإذا نقص الإنسان من جهة حاول أن يكمل نفسه من جهة أخرى .

والبيئة : ويقصد بها المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان ومنه يستمد حاجاته ، فتارة يحتاج الإنسان فى ذلك المجتمع — لكى يحقق رغباته — إلى كفاح شديد وصراع عنيف ، وكثيرا مايفشل ذلك المسعى وتخيب آماله . فيكره الناس ويبتعد عنهم ليعيش بينه وبين نفسه فى عزلة ناقما على الحياة متمردا على النظم — كأبى العلاء المعرى — وابن الرومى — والمازنى .

إذا عرفنا ذلك سهل علينا الوقوف على سر اختلاف الشعراء والكتاب والخطباء فى أساليبهم وطرق تعابيرهم . فقد يتفق شاعران فى معنى وترى لهذا أسلوبا ترتسم فيه شخصيته وتلمح فيه قسماته ، يخالف فيه أسلوب الآخر . فهناك شخصية عنيفة مجالدة صخابة متعجرفة ، وهناك شخصية لينة دمثة بسامة مواتية هادئة .

يقول دعبل فى أسلوب لين رقيق مستكين ، ترى فيه شخصية رجل مستسلم وادع ، خافت الصوت ، وطىء الجانب .

لاتأخذا بظلامتى أحدا : قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

ويقول المتنبى فى المعنى نفسه : فيريك شخصية حادة متعجرفة كثيرة الاعتداد بذاتها ، هجامة صخابة :

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل؟

ثم يقول أبو نواس فى تواضع وهوادة شأن المستهترين الحريصين على لذاتهم ، المولعين بشهواتهم .

سنة العشاق واحدة : فإذا أحببت فاستكن

يأخذه المتنبي فيملأ به فاه ، ويهزبه الأسماع ، ويأمر كأنه ضابط عسكرى يصدر أمرا ، أو زعيم ديكتاتورى يشير فيطاع :

تذال لها واخضع على القرب والنوى فما عاشق من لايذل ويخضع

وكذلك الشأن إذا وازنّا بين خطبة للحجاج مثلا ، وخطبة لمعاوية ؛ نجد الفرق واضحا بين الشخصيتين ، والتباين ظاهرا بين المزاجين .

ومن هنا كانت خطب آل البيت قوية فى مبناها صادعة فى معناها ؛ لقوة عقيدتهم فى حقهم ، وعظم ثقتهم بأنفسهم ، وامتلاء جوانحهم بإيمانهم .

فأى خطيب أفصح من على بن أبى طالب فى الخلفاء ؟ فقد كانت الحكمة تتفجر من جوانبه ، وتتدفق البلاغة على لسانه ، وكانت ألفاظه ملء السمع والقلب ، وحجته دامغة قاصمة ، والسر فى ذلك يرجع إلى شخصيته وقوة نفسه.

يقول ضرار الصدائى فى وصفه :

« يعجبه من اللباس ماقصر ، ومن الطعام ماخشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لانكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ».

وإذا انتقلنا إلى عصرنا ، وجدنا الفرق بين أسلوب شوقى وأسلوب حافظ كالفرق بين الشخصيتين والتباين بين المزاجين .

فالأدب مرآة تظهر فيها شخصية الشاعر ، ويرتسم عليها مزاج الأديب ، من تفاؤل وتشاؤم ، وأنفة واستخذاء ، ونارية واعتدال ، وكبرياء وتواضع.

عبد الوهاب حمودة